# الفصل الثاني عشر:
# فضل الجود والسخاء

obeikandl.com

obeikandl.com

# الفصل الثاني عشر: فضل الجود والسخاء

## الجود والسخاء

قال الله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾﴾[1].

قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾[2].

### أحاديث نبوية

* عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِماءَهم[3] وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ»[4].

* عن أَبِي كَبْشة عمَر بن سعد الأنماري رضي الله عنه أَنَّه سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُول: «ثَلاثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثاً فَاحْفَظُوهُ: مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ، وَلاَ ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً صَبَرَ عَلَيْهَا إِلاَّ زَادَهُ الله عِزًّا، وَلاَ فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلةٍ إِلَّا فَتَحَ الله عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ ـ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا ـ وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثاً فَاحْفَظُوهُ قَالَ: إِنَّمَا الدُّنْيا لأَرْبَعَةِ نَفَر عَبْدٍ رَزَقَهُ الله مَالاً وعِلْماً فَهُوَ يَتَّقِي فِيْهِ رَبَّهُ وَيَصِلُ فِيْهِ رَحِمَهُ وَيَعْلَمُ لله فِيْهِ حَقًّا فَهَذَا بِأَفْضَلِ المَنَازل، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ الله عِلْماً وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالاً فَهُوَ صَادِقُ النِّيةِ يَقُولُ: لَو أَنَّ لِي مَالاً لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ

---

(1) سورة: البقرة، الآية: 272 .

(2) سورة: الليل، الآيات: 5 ـ 10 .

(3) سفكوا دماءهم: أي قتل بعضهم بعضاً .

(4) استحلوا محارمهم: أي ما حرم الله عليهم من الشحوم وغيرها .

فُلانٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ الله مَالاً وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْماً فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيرِ عِلْمٍ وَلاَ يَتَّقِي فِيْه رَبَّهُ وَلاَ يَصِلُ فِيْهِ رَحِمَهُ وَلاَ يَعْلَمُ لله فِيْهِ حَقًا فَهَذا بِأَخْبَثِ المَنَازِل، وَعَبْدٍ لَم يَرْزُقْهُ مَالاً وَلاَ عِلْماً فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لي مَالاً لَعَمِلْتُ فِيْهِ بِعَمَلِ فُلانٍ فَهُوَ نِيَّتُهُ فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ»[1].

❀ ❀ ❀

## جود يذكره التاريخ

مرض قيس بن سعد بن عبادة ﷺ.... فاستبطأ إخوانه في عيادته وزيارته فسأل عنهم، فقيل له: إنهم يستحيون من عيادتك مما لك عليهم من الدين الذي لك بإقراض أو غيره!! فقال: أخزى الله مالاً يمنع الإخوان من الزيارة والعيادة! ثم أمر أن ينادي: من كان لقيس عليه دين فهو منه في حِلٍّ، فكسرت عتبته ـ عتبة بابه ـ بالعشيّ لكثرة من عادهُ وزاره من إخوانه.

❀ ❀ ❀

## السجن مقابل العطاء

قيل: كان أبو مِرثد ﷺ أحد الكرام فمدحه بعض الشعراء بقصيدة، فقال: ما عندي ما أعطيك ولكن قدّمني إلى القاضي وادّعِ عليَّ أن لك عندي عشرة آلاف درهم حتى أُقِرَّ لك بها، ثم احبسني فإن أهلي لا يتركونني مسجوناً!!

ففعل ذلك، فلم يُمسِ حتى دُفع إليه عشرة آلاف درهم وخرج من السجن في يومه!!

إنما التزم هذا المال العظيم مكافأة لمن مدحه كما جرت به عادة العرب وخشية أن تلحقه النقيصة في كونه لم يكافئ مادحه.

❀ ❀ ❀

## رأفة غريبة

قال بعضهم: دخلتُ على بشر بن الحارث في يوم شديد البرد وقد تعرَّى

(1) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

من الثياب ما يدفع عنه ألم البرد..... ودفعه إلى فقير وهو ينتفض من البرد!! فقلت له: يا أبا نصر، الناس يزيدون في الثياب في مثل هذا اليوم و أنت قد نقصتَ منها؟!

فقال: ذكرتُ الفقراء وما هم فيه من البرد ولم يكن لي ما أُواسيهم به ... فأردت أن أوافقَهم بنفسي في مقاساة البرد ؛ بأن أخرجت من ثيابي ما كان يدفع عني ألمَ البرد لفقير ولم أقدر أن أعمَّهم، فوافقتهم بأن قاسيت ألمَ البرد مثلهم[1].

❀ ❀ ❀

## التلطف بالتصدق

وقيل: كان مورق العِجِليُّ يتلطف في إدخال الرِّفق على إخوانه بحيث أنَّه إذا عرف منهم حاجة إلى شيء .. فلا يأتيهم به على وجه الصَّدقة ؛ خوفاً من انكسار قلوبهم وقت ذكرهم له، بل يضعُ عندهم ألف درهم مثلاً بصورة الأمانة، فيقول: أمسكوها عندكم حتى أعود إليكم، ثمَّ يتركهم زماناً . ثم يرسل إليهم من يقول لهم: «أنتم منها في حِلٍّ فأنفقوها» فلم يباشر بأنها صدقةٌ!! وكلُّ ذلك شفقة على قلوبهم، وفي ذلك صيانة لماء وجه الفقير، ورفعة لقَدْره.

❀ ❀ ❀

## أستاذ يعلمنا الغنى

وقيل: لقيَ رجلٌ من أهل «منبج»[2] رجلاً من أهل المدينة المشرَّفة ؛ فقال: مِمَّن الرَّجلُ (من أهل أيِّ بلد؟!)

فقال: من أهل المدينة . فقال له: لقد أتانا رجل منكم يقال له الحكم بن المطلب فأغنانا . فقال له المدني: وكيف أغناكم وما أتاكم إلَّا في جبَّة صوف؟! .. فقال: ما أغنانا بمال، ولكنَّه علَّمنا الكرم، فعاد بعضنا على بعض: واسى

(1) الرسالة القشيرية .
(2) منبج: بلدة في شمالي حلب من بلاد الشام .

غنيُّنا فقيرنا حتى استغنينا كلنا!

إذ الغنى غنى النفس في الخبر: «**ليس الغنى عن كثرة العرض إنما الغنى غنى النفس**»[1].

وذلك لأن من استغنت نفسه بالله، ووثق به هان عليه بذل ما في يده في البر، ومن كثر ماله ولم يهن عليه بذله وربما اشتد حرصه على الزيادة فيه، فهو فقير، فهذا المدنيُّ لمّا أتى إلى منبج ووجد فيها الفقير والغني: دلَّهم على غنى النفس فزهد ذو المال وهان عليه بذله وقنع الفقير فاستغنى بما تيسر له، فاستغنوا كلهم.

❀ ❀ ❀

## سقاية الماء

وقيل: عطش عبيد الله بن أبي بكرة يوماً في طريقه، فاستسقى ماءً من منزل امرأة، فأخرجت له كوزاً من الماء وقامت خلف الباب، وقالت: تنحّوا عن الباب، وليأخذه بعض غلمانكم، فإني امرأةٌ من العرب مات خادمي منذ أيام!! فشرب عبيد الله، وقال لغلامه: احمل إليها عشرة آلاف درهم، إعانةً لها، ففهمت أنه يسخر بها! فقالت له: سبحان الله تسخر بي!؟ فهِمَ أنها ما رضيت بذلك، وأنها لكونها من العرب لا تواجه بمثله، فقال لغلامه: احمل إليها عشرين ألف درهم. فزاد تعجبها بحسب ما فهمته، فقالت له: أسأل الله تعالى لك العافية مما ابتليت به من السخرية!! فقال لغلامه: يا غلام احمل إليها ثلاثين ألف درهم. فردت الباب، وقالت له (بناءً على ما فهمته من أنه يسخر بها): أفٌّ لك. فحمل إليها ثلاثين ألف درهم فأخذتها، فشاع أن عبيد الله أرسل إليها ثلاثين ألف درهم، وكانت ذا شرفٍ في نفسها وبيتها فزاد شرفها بالمال فما أمست حتى كثر خطّابها ورغبوا في نكاحها.

وفي ذلك دلالةً على كرم عبيد الله وحسن نيَّتِهِ وعدم تأثره بما قابلته به.

❀ ❀ ❀

(1) متفق عليه عند البخاري، الحديث (6446) ومسلم، الحديث (120 ـ 1051) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

## أربعة لا تؤنف

قال إبراهيم بن الجنيد: أربعة لا ينبغي للشريف (شريف الهمة الطالب لمعالي الأمور) بأن يأنف منهنَّ وإن كان أميراً :

1 ـ قيامه من مجلسه لأبيه، لأن ذلك يزيده شرفاً عند الله وعند الخلق.

2 ـ خدمته لضيفه، لأنها تدل على كمال شرفه وشدة رغبته في الخير.

3 ـ خدمته لعالم يتعلّم منه، وليقتديَ به غيره، ولأنها كمال في درجته وتحمل العالم أن يخصَّه بفوائد.

4 ـ والسؤال عمَّا لم يعلم مما طلب منه شرعاً لأنه إما واجب أو مندوب.

❀ ❀ ❀

obeikandl.com